الحبشة تستيقظ

ان رسل العمران الاوربي يطرقون الابواب على بلاد الحبشة كما طرقوها من قبل على الصين واليابان وغيرها . فايطاليا تطلب امتيازاً بانشاء سكة حديدية فيها وقد زار الدوق ابروتزي عاصمة الحبشة لهذا الغرض . وبريطانيا تطلب امتيازاً بانشاء سدّ على بحيرة صانا لتحكم في الماء الذي يجري منها الى النيل الازرق لاغراض الريّ في مصر والسودان. وجمعية الامم تطلب منّ حكومتها — والحبشة عضو في جمعية الامم — ان تضع حدًّا لتجارة الرقيق فيها. وقد اهتزت الاندية السياسية والمالية في القاهرة ولندن في اوائل نوفمبر الماضي حين اذيع نبأ اتفاق الحبشة مع شركة اميركية على بناء السدّ الذي يطلب البريطانيون امتياز بنائه . فرأينا ان ننشر في المقتطف خلاصة مقالة في هذا الموضوع نشرت في مجلة « عمل العالم » لعضو من اعضاء الجمعية الجغرافية الملكية ببلاد الانكليز . وقد قدمنا لخلاصة مقالته مقدمة وجيزة في جغرافية الحبشة ونشرنا خريطتها وفيها يستدل على موقع العاصمة اديس ابابا وبحيرة صانا وكيف ينبع النيل الازرق منها واين يسيل في تلك البلاد الى ان يصل الى بلاد السودان

١ — لمحة جغرافية

بلاد الحبشة الى الجنوب الشرقي من السودان المصري كما ترى في الخريطة المقابلة مساحتها نحو ٣٥٠٠٠٠ ميل مربع اي انها اوسع من فرنسا وايطاليا معاً ولكن عدد سكانها قليل لايزيد على اثنى عشر مليوناً ويقدره بعض الباحثين بعشرة ملايين فقط . وهي ممالك صغيرة ولذلك يلقب صاحبها امبراطوراً وفي لسانهم نغوس نغستي (نجاشي النجاشين) وتفصل البلاد عن البحر الآن مستعمرات دول الاستعمار الكبرى انكلترا وفرنسا وايطاليا . وواضح ان هذه المستعمرات حديثة لم يكن منها شيء في اوائل القرن الماضي . وفي البلاد جبال شاهقة يبلغ ارتفاع بعضها عن سطح البحر نحو ١٥٠٠٠ قدم وبجود واسعة في انحائها الشرقية والجنوبية تتخللها انهار كبيرة يجري بعضها جنوباً الى البلاد الصومال [1] وبعضها غرباً الى السودان المصري ومنها نهر القاش ونهر الاتبرا والبحر الازرق احد فرعي النيل وعليه يتوقف الفيضان

(١) يقال ان كلمة الصومال عربية محرفة واصلها الشمال لانها على شمال من يدخل البحر الاحمر كما ان اليمن على يمينه

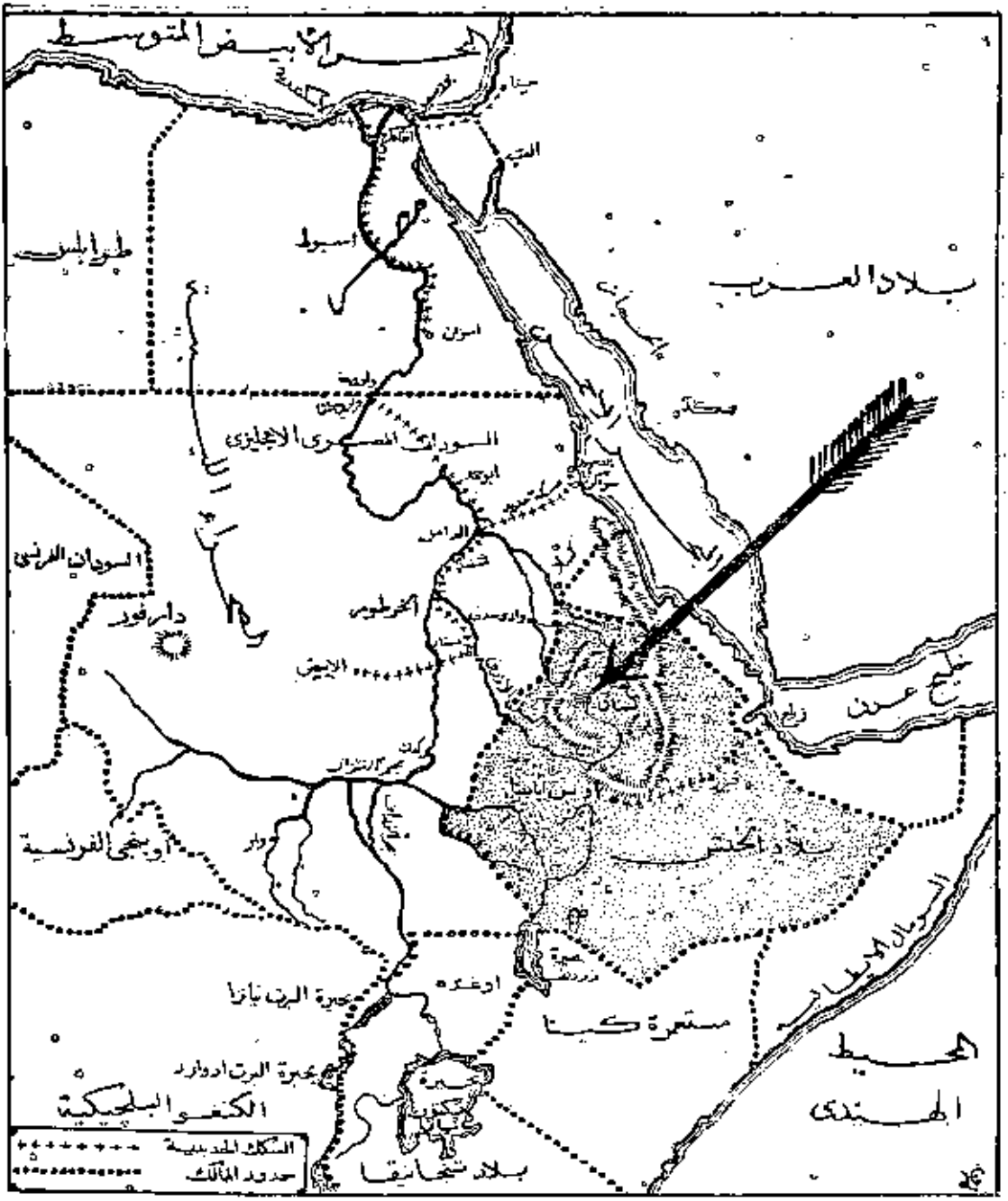

خريطة بلاد الحبشة والبلاد المجاورة لها

مقتطف دسمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٤١٢

ومبدؤه بحيرة صانا في الجانب الجنوبي الغربي من بلاد الحبشة . وهذه البحيرة كبيرة جداً مساحتها ١١٠٠ ميل مربع وعمقها في بعض جهاتها ٢٥٠ قدماً فهي اوسع من مديريتي القليوبية والمنوفية معاً

واقليم الحبشة حارٌ رطب في السهول معتدل في النجود بارد جاف في الجبال قلما ترتفع درجة الحرارة في نجودها على ٨٠ درجة بميزان فارنهيت . وقد نشر بروس ارصاده الجوية فيها سنة ١٧٧٠ في كتابه المطبوع سنة ١٧٩٠ فكان اعلى درجات الحرارة ٩١ وذلك في ١٢ ابريل عند الظهر واخفضها ٣٢ وذلك في ١٤ يناير الساعة السادسة صباحاً . واعلى درجات الحرارة في السنة كلها بين الستين والثمانين فاقليمها معتدل كاقليم سورية وهي مثل لبنان وسواحله يرتقي فيها الانسان في بضع ساعات من اقليم حار بكل مميزاته الى اقليم بارد بكل مميزاته

والسنة هناك ثلاثة فصول فصل الشتاء من اكتوبر الى فبراير وهو اشد الفصول برداً ويتبعه فصل حار جاف ثم فصل للمطر من يونيو الى اكتوبر . وينتد وقوع المطر في يوليو واغسطس وقد يدوم الى اواسط سبتمبر او اواخره . والغالب انهُ لا يمر شهر من غير ان يقع فيه مطر . اما فصل المطر الحقيقي فمن يونيو الى اواسط سبتمبر وعلى هذا المطر يتوقف فيضان النيل وفلاح مصر . فتكون بلاد الحبشة اعلق البلدان كلها بالقطر المصري فاذا استطاعت ان تحول جانباً من انهارها الى ري أراضيها فقد تضر بالقطر المصري ضرراً كبيراً

اما نباتات البلاد وحيواناتها فمماثلة لما في المناطق الحارة والمعتدلة والباردة حسب كونها في السهول أو النجود أو الجبال . ففيها البن وقصب السكر والموز والبان والقطن والنيل والسنط والزيتون والجنز والزنجبيل والغار والتين والبرتقال والليمون والرمان والمشمش والخوخ والصنوبر . وفيها من الحيوانات الخيل والحمير والبغال والكركيون وفرس النهر والتمساح والغنم والبقر والمعزى والاسد والنمر والضبع والذئب

٢ — خلاصة مقالة المستر راي

تاريخ الحبشة مزيج من الحقائق والاساطير والتقليد وهو مستغرق في القدم وقد دفع اليَّ الرأس تفري ماكونن ولي عهد المملكة بقائمة تحتوي على اسماء ٣١٢ ملكا حكموا ٩٣٠٠ سنة على ما يقولون ومعنى هذا ان اول ملك على الحبشة حكم في سنة ٤٥٣٠ قبل الميلاد أو في السنة السابعة والتسعين للخليقة حسب معتقداتهم وفي جملة هؤلاء

الملوك سليمان ملك اسرائيل وملكة سبأ ومنها ولد منليك جد البيت الحاكم اليوم فكأنما يمتد حكم هذا البيت الى ٣٠٠٠ سنة وهو امر منقطع النظير

وقد كانت الامبراطورية الحبشية في العصور الغابرة تنبسط على شاطئي البحر الاحمر وتشمل على الساحل الافريقي البلاد الممتدة من سواكن الى رأس غردفوى على الاتل وكانت اساطيلها تجوب البحار الى الهند وفارس وربما سخرت فيها الى ما هو ابعد منها وتوافيها التي تثقل بضائعها او تجلب اليها بضائع البلدان الاخرى تقطع مئات الوف الاميال خارج حدودها . ومما ينبئ بما كان لتلك الامبراطورية القديمة من عظمة ان احد امبراطرة الرومان من ١٦٠٠ سنة ارسل الى الاحباش يسألهم النجدة وقد وجه كتابهُ في ذلك الحين الى « امراء الحبشة المسيحية »

وقد آوت الحبشة اقرباء النبي محمد وحالفت منذ ٥٠٠ سنة مع البرتغاليين على الترك والعرب والصوماليين الذين استعبدوها ولكنها صارت بعد ذلك طعمة لنيران الحروب الاهلية واغارت عليها قبائل الجلا من الجنوب فانشطرت الى مملكتين منفصلتين وظلت هكذا الى ان وحدها الامبراطور تاوضروس ثم جاء الامبراطور منليك فاعاد تأسيس الامبراطورية الاثيوبية القديمة ووطد دعائمها اذ وسع حدودها موقضى على جميع الملوك الطامعين بها ودوخ اراضي الجلا وهزم دولة اوربية في حرب طاحنة وها نحن أولاء نرى الحبشة اليوم عضواً في جمعية الامم وان كانت قد فقدت كل اتصال لها بالبحار واصبحت سواحلها مملوكة للاجانب

والحبشة بلاد واسعة تألف من سهلين مترامين يفصلهما الواحد عن الآخر واد عظيم يقال لهُ وادي رفت وعلى حدودها بحار كبيرة وجبال شاهقة كأنها المعاقل

ويقدر عدد سكانها بين ٨ ملايين الى ١٣ مليوناً وهم خليط من اجناس كثيرة فمنهم الأحباش والجلا والشنكلا والصومال والجوراج والدناكل وسواهم ويتكلمون ٧٠ لغة مختلفة اهمها اللغة الامهرية وهي اللغة الرسمية وحروف هجائها ٢٥١ حرفاً

ويعيش احباش اليوم كما كان اجدادهم يعيشون منذ ٢٠٠٠ سنة فيفكرون كما كانوا يفكرون ويسكنون جيماً — اذا استثنينا سراتهم — اكواخاً مبنية بالطين او الحجارة وترى عاصمتهم نفسها ادبس ابابا « ومعناها الزهرة اليانعة » وقد اسسها منليك عقب انتصاره على ايطاليا سنة ١٨٩٦ غاصة بالوف الاكواخ وليس فيها من المباني الحديثة الا مباني يسيرة ويبلغ عدد سكانها ٦٠٠٠٠ نسمة

وقد اعتنق الاحباش النصرانية قبلما اعتنقها نحن(يقصد قومه الاميركيين)ولذلك قصة تشبه أن تكون خرافية تحدثنا عن شابين من اتباع عقيدة الطبيعة الواحدة (وهي التي يعتنقونها اليوم) تحطمت سفينتهما على شاطئها فهديا سكانها الى المسيحية

ولا يزال الاحباش الذين هم أكثر من ثلث السكان يرتدون اللباس القديم المؤلف من قميص من القطن وسراويل « وشامة » وهي ملحفة يلتحفون بها في النهار ويستعملونها شرشفاً لفراش النوم في الليل وهو لباس الرجال والنساء معاً من جميع الطبقات ولهم في امر الشامة عادة غريبة فاذا التقى لابسها برجل آخر وسدل هذه الشامة على وجهه فمعنى هذا انهُ اراد احتقارهُ واما خلع الشامة عن الكتفين ولفها حول الخصر فهو عندهم غاية الاحترام

ومحاكم القضاء عندهم ارتجالية فيجوز ان يدعى أي عابر سبيل كان فيجلس للحكم وترى هذه المحاكم قائمة في زوايا الشوارع تصدر احكامها من غير حاجة الى بلاغة المرافعات او الى اضاعة الوقت في سماع المناقشات وتطبق الشريعة الموسوية في الجرائم الخطيرة. وكان من المناظر المألوفة الى عهد قريب ان يرى المرء في سوق البلدة اشخاصاً معلقين في المشانق او في جذوع الاشجار . اما اليوم فعدم القاتل في داخل كوخ صغير وطريقة اعدامهُ هي ان يطلق اولياء الدم رصاص بنادقهم عليهِ

ومن العادات في الحبشة ان يأدب البلاط الامبراطوري من حين الى حين مأدبة رسمية يدعو اليها جميع من في العاصمة من الضباط والجنود والموظفين والخدم والعبيد يأكلون فيها اللحم نيئاً فيجلس ١٥ الفاً او اكثر القرفصاء امام موائد ويطوف عليهم الخدم والجزارون بقطع كبيرة من اللحم فيأخذ منها كل منهم ما شاء . وقد شهدت انا وزوجتي وليمة من هذه الولائم حضرتها الامبراطورة وقد ضرب دونها ستار من الحرير الاخضر وجلسنا ولي العهد والرؤوس على منصة قريبة منا وجيء باللحم النيء فوزع على الوف المدعوين على النحو المتقدم وقد قيل لي ان ما ذبح لهذه الوليمة كان ٤٠٠ ثور وهذه عادة باقية من آثار العهد الاقطاعي

ومن بقايا ذلك العهد ايضاً ان كل خادم او عامل يلتزم بان يتبرع لسيده بشغل عدة ايام في كل سنة بالمجان فيحرث لهُ ارضهُ او يقطع لهُ الحشيش او يمهد الطرق او ما شابه ذلك

ويحدث احياناً ان تلزم الامبراطورة على تأدية واجب العبادة في كنيسة بعيدة

فلاجل تمهيد الطريق الى هذه الكنيسة يأتي ولي العهد ويضع بيده حجراً في اول الطريق ويحذو الرؤوس وكبار الموظفين حذوه وحينئذٍ يتبرع الوف من الناس فيمهدونها

وليس في الحبشة مغازل ولا معامل للنسج بل ان القطن لا يزال يغزل باليد كما كان يغزل في العصور الماضية ومحاريث الزراعة هناك من الخشب تكاد لا تشق الا سطح الارض والموتى يدفنون كيفما اتفق في مقابر هي في الوقت عينه طرق للسابلة فاذا جنّ الليل نزلت الضباع عليها ونبشت عن الجثث

هذه صورة للقديم ترى الى جانبها صورة للجديد اذ تجد طرقاً تمهد للسيارات التي يبلغ عددها نحو المائتين في اديس ابابا وتسمع نقرات آلات الخياطة في بعض الحوانيت وفي وسعك ان تتناول في بيت ولي العهد طعاماً طُهي على النمط الاوروبي المتقن

وليس في كل تلك البلاد الواسعة من خطوط المواصلات غير خط حديدي واحد (غير مزدوج) يصل اديس ابابا بثغر جيبوتي ميناء الصومال الفرنسي والمسافة بينهما ٥٠٠ ميل ولا تسير القطارات على هذا الخط الا نهاراً واذا نزل السيل عطلهُ أما الطرق الزراعية فهي عبارة عن دروب للقوافل

ولا يجوز لاجنبي ان يسافر في داخلية البلاد من غير رخصة رسمية على ان الاهلين يعطفون على الاجانب وقد حدث مرة لزوجتي ان كسرت ذراعها ونحن نطوف في ارجاء مملكة توجام واضطررنا ان نسير بها مسافات محمولة على سرير من الشبك يشبه الارجوحة فكنا كلما مررنا بقوم ووقفوا على جلية الخبر تقدم نفر منهم لحمل السرير مسافة غير قليلة والحوا في ذلك

واهل الحبشة اميّون ليس بينهم من يعرف القراءة والكتابة اذا استثنينا رجال الاكليروس وموظفي الحكومة في اديس ابابا

وتتألف الطبقة الحاكمة هناك من الامبراطورة وولي العهد والرؤوس وحكام المقاطعات او الممالك ولكن اعظمهم كفاءة ومقدرة ولي العهد وهو شاب في الخامسة والثلاثين يعمل يومياً في مكتبه من السابعة صباحاً الى العاشرة مساءً مكبّاً على انكار مشروعات الاصلاح للحكومية وانشاء المعاهد الحديثة . غير ان في البلاد قوى عظيمة تقف في وجه مشروعاته لرغبتها في بقاء القديم على قدمه واخصها رجال الكنيسة

أما رؤوس الاحباش فعلى جانب عظيم من الغنى وبسطة النفوذ وحكام المقاطعات مستقلون تقريباً في مقاطعاتهم وهم لا يتناولون راتباً بل لهم سلطة فرض ضرائب على

A TABLE OF *HIEROGLYPHICS*, FOUND AT AXUM 1771.

لوح عليه كتابة هيروغليفية وجد في اكسوم ببلاد الحبشة

مقتطف دسمبر ١٩٢٧

امام الصفحة ٤١٧

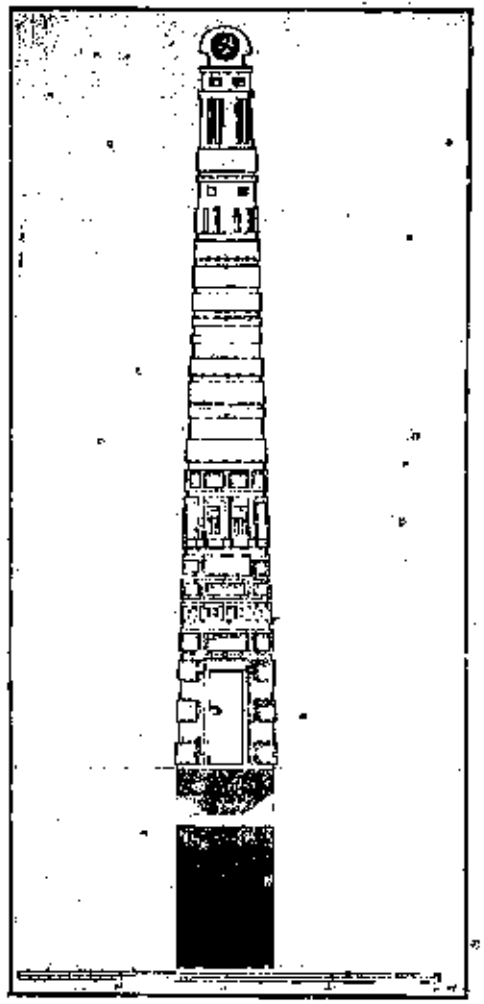

مسلة من الرانيت وجدت في اكسوم

الاهلين يحسونها لانفسهم ويرسلون منها جانباً الى الحكومة المركزية ويمكن ان يقال ان نفوذ هذه الحكومة لا يتجاوز اطراف اديس ابابا

وكذلك قل عن الكنيسة الحبشية فانها قوة ذات نفوذ وثروة وفي حيازتها ربع اراضي البلاد وقد امتلكته منذ القرن الثالث عشر ورئيسها يقال له (ابونا) وهو قبطي يعينه بطريرك الاسكندرية القبطي وقد اثارت وفاته في سبتمبر الماضي خلافاً مداره هل تستمر البلاد على العادة القديمة فتختار مطراناً من القبط او تنصب لها مطراناً حبشيًا وكانت الثانية في جانب الرأي الاول كما هي العادة في سائر الامور

وتجارة الحبشة لا تذكر في جانب ما يجب ان تكون عليه في بلاد غنية كهذه وقد لا تزيد على مليوني جنيه في السنة والعملة من عوائق نمو التجارة فانهم هناك لا يتعاملون الا بريال ماريا تريزا الفضي واذا اراد تاجر ان يبتاع محصولاً من الاهلين فعليه ان يبتاع كمية من هذه الريالات لدفعها ثمناً للمحصول ولا تخلو عمليات شراء العملة من خسارة قد تذهب بربح التجارة

ومما اذكره للاحباش انهم شعب فخور أشم انفس فتراه يتيه فخراً ببلاده وتاريخه وديانته وانتصاراته الحربية ولكن يعيبهم انهم شديدو الريبة بعضهم ببعض فولي العهد مثلا يرى نفسه مكرهاً على ان يؤدي بنفسه اعمالاً هي من اختصاص صغار مرؤوسيه لانه لا يعتقد بوجود الرجل الامين الذي يكل اليه عملاً من هذه الاعمال ولولا ذلك لتفرغ للمشكلات الهامة التي تصادفها بلاده واهمها تنمية مواردها وتنظيم حكومتها ومعالجة الاضطرابات التي تقع على حدودها ومسألة بحيرة صانا والمصالح الايطالية والرقيق وجمعية الامم

ولا يتسع المقام للكلام باسهاب عن كل من هذه المشكلات فاذكر منها مشكلة الامتياز الذي تطلبه بريطانيا العظمى في بحيرة صانا بالشاء خزان عليها لري حقول القطن في السودان ومصر ومما يحسن ذكره هنا ان الزراع والتجار في مملكة قوجام يؤيدون مشروع هذا الخزان كل التأييد لانهم يعتقدون انهم ينتفعون به ولكن رجال الحكومة في اديس ابابا يرتابون في نيات انكلترا والكنيسة تعارض فيه بدعوى ان مياه النيل الازرق مقدسة لا يجوز التعرض لها !

ثم ان ايطاليا تطلب امتيازاً بمد خط حديدي وتطلب دول اخرى امتيازات تجارية وهلم جرًّا

ومما لا يقل عن كل ذلك شأناً مشكلة الرقيق وهي مشكلة عسيرة الحل في بلاد اعتاد اهلها اقتناء العبيد . نعم ان العبيد في الاسر الحبشية يعاملون معاملة حسنة جداً ويعتبرون كاعضاء في الاسرة ومتى تحرروا وقعوا فريسة البؤس والفاقة ولكن الدول الاوربية تعدهم رقيقاً وقد اصدر الرأس تفري مرسوماً يقضي بان ابن العبد يولد حراً واصدر مرسوماً آخر يقضي باعدام من يضبط متجراً بالرقيق فالرجل يعمل باخلاص في مكافحة هذه التجارة لولا العوائق الاجتماعية التي يصادفها من قومه

٣ — الحكومة المصرية وبحيرة صانا

وقد اوفدت الحكومة المصرية الدكتور غرافام الجيولوجي والمستر بلاك العالم الطبيعي من بضع سنوات للبحث عما يمكن ان يعمل للتحكم بماء بحيرة صانا حتى يتيسر فيما جانب منهُ من زمن الفيضان الى زمن التحاريق فحتا ٣٤ شهراً اي في مدة ثلاثة فيضانات فوجدا الامور الآتية

اولاً ان هذه البحيرة تكونت في عصر جيولوجي حديث من توران بركاني وقعت حممهُ في وادٍ فسدَّتهُ حيث وقعت فصار ما فوق السد بحيرة

ثانياً ان مساحة سطح البحيرة ٣٠٦٠ كيلومتراً مربعاً كان طولها ٥٥ كيلو متراً وعرضها كذلك

ثالثاً انهُ يتبخَّر من مائها ما سمكهُ مليمتر ونصف في اليوم في شهر اغسطس ثم يزيد التبخر رويداً رويداً حتى يبلغ ستة ملينترات في اليوم في ابريل وفي السنة كلها ١٤٨٠ مليمتراً او نحو متر ونصف

رابعاً ان ما يجري منها من الماء في الثانية من الزمان يكون على اقله في آخر فصل الجفاف وهو حينئذٍ ١٠ امتار مكعبة في الثانية من الزمان ثم يزيد حتى يبلغ ٥٠٠ متر مكعب في الثانية حينما يكون الماء في البحيرة على اعلاهُ وذلك في سبتمبر

وهذا المقدار اقل من جزء من خمسين جزءاً من الماء الذي يجري في النيل في اصوان زمن الفيضان فلهذه البحيرة شأن قليل في فيضان النيل ولكن اذا اقيم لها سد عند مخرج البحر الازرق منها حتى يسهل التحكم بالماء الذي يجري منها الى النيل كان منها نفع كبير وقت التحاريق لانهُ يمكن ان يخزن فيها حينئذٍ ٣٥٠٠ مليون متر مكعب من الماء . وبناء هذا السد يقتضي نحو مليونين ونصف من الجنيهات واذا اريد اصلاح الطريق من النيل اليها اقتضى ذلك نفقات اخرى